دور هامة على مسرح السياسة الدولية

سعادة أ. د لحبيب أدامي

من حق أي إنسان في الدنيا أن يجعل يوما يحتفل فيه باستقلال بلده، أو يتذكر فيه ذكريات غالية كإعلان التأسيس أو جلاء المحتل أو نحو ذلك، كما يحق له أن يتخذ يوما لتذكر الأمجاد واستعراض الإنجازات والانتصارات، لأنه في ذلك لا يزيد على كونه يستجيب لمكنون فطري وجبلة إنسانية.

إن تلك الفطرة وتلك الجبلية يجب أن تبقيا متوازنتين في نفس صاحبهما ومعتدلتين في فكره. فالوطن ليس وثنا يعبد، كما أنه ليس حثية تراب هَمَل في سياق تاريخي مجهول وجغرافيا انفصلت عن امتدادها الطبيعي. فكما هو جغرافيا وتاريخ، فإنه أيضا دين ودنيا، حضارة ومجتمع، رجال ومؤسسات، طموحات وتحديات، آمال وآلام.

ويأتي اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية الشقيقة هذا العام (1430هـ/ 9002م)، ليكون شاهدا على عام آخر قد أضيف إلى عمر المملكة، التي أسست وعين مؤسسها على التاريخ والجغرافيا والدين والدنيا والرجال والتوجهات والطموحات والتحديات في آن معا.

إنها محطة أخرى لأبناء هذا الجزء الغالي من الوطن العربي الإسلامي الكبير، ليلتفتوا إلى الرصيد الذي تراكم على مدار السنين، وملأ آذان الناس وقلوبهم.

وكم هو جميل أن تحيي الذكرى هذا العام بافتتاح الصرح العلمي المنتظر (جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية)، في إشارة واضحة إلى أن الدول تبنى على العلم لا على الوهم، وأنها تكسب قوتها ومنعتها بما تملكه من علماء وباحثين لا يواكبون الحركة العلمية والتكنولوجية العالمية فحسب، بل يضيفون إضافتهم النوعية إلى الرصيد الإنساني العام.

إن كل إنجاز سعودي علمي أو اجتماعي أو ثقافي أو سياسي هو في حقيقة الأمر إنجاز عربي وإسلامي، وإن خراجه يصل - لا محالة - آفاق الأمة العربية والإسلامية. فلا أحد يستطيع أن يجحد الآن أن المملكة العربية السعودية قد صارت دولة محورية في المنطقة، وكذا في الفضاءات الإقليمية والدولية التي تنتمي إليها. ومن ثم فإن المواطن السعودي لديه دوما ما يقوله عن إنجازات بلاده في المجالات المختلفة، وعن وزنها الإقليمي، وعن موقعها المتقدم في السياسة الدولية، وعن ريادتها في رعاية الحرمين الشريفين وخدمة الزوار والعمار والحجاج، وعن تألقها في العمل الخيري في جميع أصقاع العالم.

إن الجزائر تنظر إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بتقدير وإكبار، وتراه امتدادا نوعيا لعهد الوالد المؤسس، المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود، طيب الله ثراه، مرورا بعهود من تولى الأمر من إخوانه، رحمهم الله جميعا.

فالمملكة تسجل اسمها في كل مرة كرقم عصي على التجاوز في مجالات مختلفة، وتبرهن في كل مرة أنها قادرة على لعب أدوار هامة على مسرح السياسة الدولية، بل وفي الاقتصاد العالمي. فإنجازات الملك عبدالله في هذا المجال أظهر من أن تُظهر، فمن المدن الاقتصادية، إلى العقود الاستراتيجية في مجال المحروقات، مرورا بالمشاريع الضخمة، خصوصا في مجال تحلية المياه والمشاريع الزراعية، وكذا المدن الإلكترونية والعلمية وتطوير البنية التحتية...إلخ، كلها شواهد عزم على أن يبلغ هذا البلد ما بلغته دول العالم المتطورة.

وقد تميزت السياسة الخارجية للمملكة في السنوات الأخيرة، بحضور قوي، إن على المستوى الخليجي والعربي أو الإسلامي أو على المستوى الإقليمي والدولي، وترسخت لخادم الحرمين الشريفين شخصيته العالمية المتميزة، من خلال استعداد بلاده لتلبية أي طلب يخفف هذه المعاناة، مع إطلاق مبادرة الطاقة من أجل الفقراء، ودعوة المجلس الوزاري لصندوق أوبك إلى إقرار برنامج مواز لبرنامج الطاقة من أجل الفقراء، وأن يخصص له مليار دولار مبديا استعداد المملكة للمساهمة في تمويل البرنامجين، وكذا من خلال مبادرته المتعلقة بحوار الأديان، التي أخذ زخمها يتشكل بشكل واضح بعد المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بداية يونيو (حزيران) 8002، بمشاركة أكثر من 500 من العلماء والمفكرين والشخصيات الإسلامية البارزة، ثم تلاه مؤتمر مدريد العالمي للحوار بين الأديان في يوليو (تموز) 8002، ثم مؤتمر الأمم المتحدة الذي خصص لذات الغرض، سعيا لتحقيق التفاهم والتعاون بين الأمم المختلفة ثقافيا ودينيا، وصيانة الإنسان من العبث الذي يبتدعه، وحماية الأسرة والمجتمع الإنساني والبيئة من كل اعتداء يولده التطرف الديني أو العرقي أو السياسي أو المذهبي.

وستدون مبادرة خادم الحرمين بتوسيع الحرم المكي، تسهيلا لمناسك أفواج الحجاج والزوار والعمار في سجل أفضاله على الأمتين العربية والإسلامية، التي لن تذكره في اليوم الوطني وفي غيره إلا بكل خير.

وفي هذا السياق، يجب التنويه بنوعية العلاقات التاريخية التي تربط الجزائر بالمملكة، وتثمين التواصل المستمر بين قيادتي البلدين، خدمة للمصالح المشتركة، وتعزيزا لدورهما الفعال على الساحات الإسلامية والعربية والإقليمية والدولية.

كما يجب التأكيد - وأنا أستحضر الإرادة السياسية القوية لكل من فخامة الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة رئيس الجمهورية، وأخيه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود - على أن تلكم العلاقات التاريخية التي أشرت إليها ما فتئت تنمو وتتطور، إلى أن تعززت بالتوقيع مطلع سنة 2008م على آلية التشاور السياسي بين وزارتي الخارجية في البلدين، مما سيفتح الباب واسعا على تنسيق أشمل للمواقف، وتوحيد أكبر للرؤى حول القضايا الإسلامية والعربية والدولية ذات الاهتمام المشترك.

وقد أتى هذا التوقيع ليضيف لبنة أخرى في صرح العلاقات الثنائية، أتبع بدوره تلك الزيارات المتبادلة للمسؤولين السامين في كل من البلدين في إطار النشاطات متعددة الأطراف، من خلال الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والفضاءات الدولية الأخرى، التي تعنى بالطاقة والفلاحة والتربية والتعليم العالي والثقافة والمياه والبيئة والمصارف، وكذا من خلال التعاون الثنائي الذي مهدت له اللجنة المشتركة الجزائرية - السعودية في اجتماعاتها المختلفة.

وقد مس التعاون بين الجانبين قطاعات مختلفة مدنية وعسكرية، وتجسد في تبادل الزيارات بين وفود رجال الأعمال الجزائريين والسعوديين، بهدف استكشاف فرص الاستثمار وتكثيف التبادل التجاري.

كما توطدت دعائم الروابط الأخوية بين البلدين والشعبين بالسياسة والدبلوماسية والثقافة، توطدت بالتواصل الثقافي والرياضي بحركية نشيطة ملأت وقائعها السنوات الأخيرة.

سفير الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية